الباب الرابع

الليبرالية الحديثة والليبرالية الأمريكية

الليبرالية الحديثة (Neo Liberalism)

الليبرالية الجديدة (New Liberalism) (والتى تسمى كذلك الليبرالية الاشتراكية) ليست هى الليبرالية الحديثة (Neo Liberalism).

الليبرالية الحديثة، مصطلح لوصف شكل أعيد إحياؤه من الليبرالية الاقتصادية، والذى أصبح هاما جدا فى مناقشات السياسة الاقتصادية الدولية منذ السبعينيات وحتى الآن.

يشير مصطلح الليبرالية الحديثة فى الاستخدام الدولى السائد إلى فلسفة اقتصادية ـ سياسية ترفض تدخل الحكومة فى الاقتصاد الداخلى، وتركز على وسائل السوق الحرة، وقيود محدودة على أنشطة مشروعات الأعمال، وحقوق الملكية. تحبذ الليبرالية الحديثة فى السياسة الخارجية فتح الأسواق الخارجية عن طريق وسائل سياسية، وباستخدام ضغوط اقتصادية، وبالطرق الدبلوماسية، و/ أو بالتدخل العسكرى. يشير فتح الأسواق إلى تجارة حرة وتقسيم دولى للعمل. تحبذ الليبرالية الحديثة ـ على وجه العموم ـ ضغوط سياسية متعددة الأطراف من خلال منظمات دولية أو آليات منبثقة عن معاهدات، مثل: منظمة التجارة الدولية (WTO) والبنك الدولى. تفضل الليبرالية الحديثة سياسة عدم التدخل الحكومى، وتريد تقليص دور الحكومات القومية إلى أدنى حد، وتقيس مدى النجاح بالمكاسب الاقتصادية ككل. ولترفع كفاءة مؤسسات

الأعمال، تعمل من أجل استبعاد أو تخفيف حدة سياسات العمل، مثل الحد الأدنى للأجور، وحقوق التفاوض الجمعية.

إنها تعارض الاشتراكية، والحمائية، والتدخلات البيئية. عادة ما تكون الليبرالية الحديثة على غير اتفاق مع التجارة العادلة وغيرها من الحركات التى تنادى بضرورة أن تكون لحقوق العمال والعدالة الاجتماعية أولوية فى العلاقات الدولية والاقتصادية.

يرتبط استخدام مصطلح الليبرالية الحديثة فى الولايات المتحدة ببعض أوضاع من قبيل دعم الإصلاح الرامى إلى تجارة حرة، وإصلاح دولة الرفاهية، ولكن لا تعارض الكينزية أو الاهتمام بالبيئة. على سبيل المثال فإن الاقتصادى **براد دى لونج** يعد فى السياق الأمريكى مدافعا بارزا عن الليبرالية الحديثة، رغم أنه من مؤيدى كينز، وإعادة توزيع الدخل، ومن النقاد الشرسين لإدارة الرئيس بوش. عادة ما ترتبط الليبرالية الحديثة فى السياق الأمريكى بالاتجاه الثالث. مؤيدو النسخة الأمريكية لليبرالية الجديدة يعرضونها على أنها موقف پراجماتى (نفعى)، يركز على «الأصلح»، ويتعالون على الجدل بين اليسار واليمين.

يمكن أن يؤدى التشابك بين هذه الاستعمالات إلى الخلط. فى الاستخدام الدولى، يُنظر إلى الرئيس الأسبق **رونالد ريجان** والحزب الجمهورى الأمريكى على أنهما من الرواد المناصرين لليبرالية الحديثة. إلا أن **ريجان** لم يوصف قط على هذا النحو فى المناقشات السياسية داخل الولايات المتحدة، حيث ينطبق المصطلح ـ فى الأغلب ـ على الديمقراطيين المعتدلين، مثل مجلس القيادة الديمقراطى.

الليبرالية الحديثة مصطلح يستخدم لوصف حركات متنوعة، تنفر من رقابة الدولة أو التدخل فى الاقتصاد، بدأت على وجه الخصوص فى السبعينيات. ولا يُعد مصطلح الليبرالية الحديثة المصطلح الوحيد لهذه الحركة، إذ يجادل كثير من مؤيديها على أنها ببساطة «الليبرالية» وحسب، بينما يطلق عليها نقادها (بمجازاة بعض من مؤيديها) التاتشرية (فى المملكة المتحدة)، أو الريجانية (فى الولايات المتحدة الأمريكية)، أو العقلانية الاقتصادية (أستراليا)، أو الروجرنومية (نيوزيلندا)، أو المانموها نوميه (الهند). وبسبب الرابطة الوثيقة بين هذه الفلسفة واقتصاديات الكلاسيكية الحديثة، والخلط بالمصطلح الغامض «ليبرالى»، يؤيد البعض مصطلح «فلسفة الكلاسيكية الحديثة».

الليبرالية الحديثة فى شكلها الأقصى فى رفض الحلول الوسط، هى عبارة عن أيديولوچية اقتصادية تتركز على قيم التجارة والأسواق التى لا تخضع لقيود النظم، وعلى الآفاق الموسعة لمشروعات الأعمال التى ظهرت بانتهاء الحرب الباردة، أو العولمة. إنها تجادل بأن الأسواق الحرة، والتجارة الحرة، والتدفق غير المقيد لرأس المال، سوف يؤدى إلى مزايا اجتماعية وسياسية واقتصادية. يؤيد هذا الشكل الحد الأدنى من الإنفاق الحكومى، والحد الأدنى من الضرائب، والحد الأدنى من القيود، والحد الأدنى من التدخل المباشر فى الاقتصاد. وفحوى جداله أن قوى السوق ستقوم بشكل طبيعى بملء عدة مناطق من مناطق نفوذ الدولة للوصول إلى أعلى معدلات المكاسب الكلية. يقر هؤلاء المنقصون من نفوذ الدولة

أن قوى السوق بطبيعتها غير متساوية. يجادل أنصار الليبرالية الحديثة فى الغرب، بأن دولة الرخاء يجب تفكيكها أو خصخصتها. القوة الدافعة لهذا الطراز من الليبرالية الحديثة ـ كجزء من العولمة ـ هو استغلال الموارد العالمية: عمالة رخيصة، ومواد خام، وأسواق، بأكثر الطرق الفعالة الممكنة، وأثناء القيام بذلك، يتم فتح مزيد من الأسواق أمام دخول السلع عن طريق الدول المتقدمة.

على أى حال، تنطبق الليبرالية الحديثة على سلسلة واسعة للغاية من التطورات، لا ترتبط كلها بالأحزاب المحافظة. تشمل التطورات التحول من النظم إلى عدم وجود نظم، والتحول من المزايا المشتركة إلى المزايا الخاصة، والتحول من حجم التجارة المنخفض لدى نظام بريتون وودز إلى أحجام كبيرة من التجارة فى بيئة عملات عائمة باستخدام المزايا النسبية، لزيادة إجمالى الناتج المحلى ومتوسط الأجور. من منطلق هذا المعنى الواسع، تظهر حجة أن المشكلة فيما يتعلق بالدول المتخلفة هو الفساد الناشئ عن تدخل الدولة بأدوات الرقابة على آليات السوق عن طريق الأسعار المدعمة، أو الأجور المحددة، أو اختيار الفائزين والخاسرين فى التنمية الاقتصادية.

يصور البعض الليبرالية الحديثة على أنها فرض «للأسواق الحرة من أعلى إلى أسفل» حيث أنها قامت لصالح الشركات متعددة الجنسيات من خلال أكبر مؤسسات التمويل الدولية للاقتصاد العالمى، أى صندوق النقد الدولى (IMF)، ومنظمة التجارة العالمية (WTO)، والبنك الدولى، وعن طريق أجهزة الدول الكبرى القوية، خاصة حكومات

الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية؛ ولأن هذه المؤسسات الحكومية تؤيد الليبرالية الحديثة، اعتبر الكثيرون أن هذه السياسات تهدف إلى استغلال المنشآت الكبرى والدول المتقدمة للدول الأقل تقدما. يجادل النقاد بأن هذه المؤسسات لا تدعم التنمية، لكنها بدلا من ذلك تكرس مزايا وأوضاع الدول المتقدمة. يحتج النقاد على حقيقة أن السياسات الليبرالية الحديثة خولت الشركات متعددة الجنسيات نفوذا اقتصاديا على الحكومات المنتخبة بطريق ديمقراطي، حيث أن هذه الشركات تستخدم طاقاتها لسحب أو صب رءوس الأموال (ولذلك أثرت في فرص العمل والاقتصاد) كوسيلة لإرغام الحكومات على العمل وفق تعليماتها.

سوف يقول مؤيدو الليبرالية الحديثة إن تدفق رأس المال (دخولاً وخروجًا) يعد ضروريا لفاعلية السوق. إنهم يشيرون إلى الدراسات الاقتصادية عن اضطرابات وصدمات السبعينيات، ويجادلون بأن الأسواق الحرة سوف تكون عاملا ملطفا في مواجهة مثل هذه الصدمات، عن طريق ازدهار فائق، وعائدات أفضل على رأس المال، مما يؤدي إلى مزيد من الاستثمارات والتنمية. إنهم يجادلون بأن إلزام الدول النامية بالارتباط بالدول المتقدمة سوف يؤدي إلى تعزيز الاستقرار العالمي، وفي آخر الأمر إلى التحول إلى حكومات أكثر ديمقراطية.

وعلى عكس ما يوحي به الاسم، فإن الأشخاص الذين يعرفون بأنهم ليبراليون عادة ما يعارضون الليبرالية الحديثة أولا يدعمونها تماما.

الليبرالية الحديثة ليست جزءا من الليبرالية الجديدة لـ **چون ديوى، وودرو ويلسون، أو چون ماينارد كينز، أو فرانكلين د. روزڤلت**، أو الحزب الديمقراطى الليبرالى البريطانى، والتى تؤيد تدخل محدود فى الاقتصاد كأداة لجلب منفعة الشعب.

عادة يتم استخدام مصطلح «الليبرالية الحديثة» بأسلوب ازدرائى، وهذا السياق لا يقصد النظرية الاقتصادية، وإنما سيطرة رأسمالية عالمية ونفوذ الشركات متعددة الجنسيات، وكذلك تأثير التجارة الحرة على الأجور والبنيات الاجتماعية.

تاريخ مختصر

كما أن الانسياق تجاه تحرير التجارة واقتصاديات عدم تدخل الحكومة قد شجع قيام «الحقبة الأولى من العولمة»، والتى انتهت بصدمات الحرب العالمية الأولى، وانهيار قاعدة الذهب، والكساد الكبير، فإن الليبرالية الحديثة ارتبطت «بالحقبة الثانية للعولمة» المعاصرة، تلك البذور التى تم غرسها بعد الحرب العالمية الثانية. وفيما بين الحقبتين فى السنوات من ١٩١٥م وحتى الستينيات أو ما يقرب منها، قامت عدة أشكال من ليبرالية الدولة والاقتصاد القومى بتوجيه السياسات الاقتصادية والاجتماعية للكثير من الدول.

بدأت جذور اقتصاديات الليبرالية الحديثة بمصاحبة إعادة تأسيس الاستقرار المالى الدولى عن طريق نظام بريتون وودز، الذى ثبت أسعار العملات مع الدولار الأمريكى والذهب. تزايد نفوذ الليبرالية الحديثة

كحركة أيديولوچية، على أسس أعمال **روبرت موندیل وآرثر فليمنج**. أنشأت جمعية مونت پيرلن ـ التى تأسست فى ذلك الحين ـ على يد مفكرين مثل: **فريدريك هايك وميلتون فريدمان ومايكل پولانى**، «منتديات فكر ـ think tanks»، وجماعات تأييد لفكر السوق الحرة فى المملكة المتحدة والولايات المتحدة خلال الستينيات والسبعينيات. سارت على نهج نظريات المدرسة النمساوية للاقتصاديات والنقدية. جادلت الليبرالية الحديثة بأن الحمائية والبرامج الحكومية تؤدى إلى انتقاص كفاءة الاقتصاد، وأن على الدول النامية أن تفتح أسواقها، وتركز على التصدير، وتركز كذلك على تصفية المؤسسات المملوكة للدولة، والحد من القواعد التى وضعت لإعاقة نشاط مشروعات الأعمال. تجلت أفكار الليبراليين الجدد فى سلسلة من مفاوضات التجارة لتشكيل الاتفاقية العامة على التعريفات الجمركية والتجارة، إلى جانب اتفاقيات حول التجارة الحرة الإقليمية مثل: الاتحاد الأوروبى واتفاقية التجارة الحرة لأمريكا الشمالية.

وصلت موجة الليبرالية الحديثة إلى ذروتها مع حكومة **ريجان** فى الولايات المتحدة **ومارجريت تاتشر** فى بريطانيا. لم تحول حكومات **ريجان وتاتشر** سياسات بلديهما إلى سياسة عدم تدخل الحكومة فى الاقتصاد، بل استخدما نفوذهما على أكبر مؤسسات بريتون وودز لفرض سياساتيهما على باقى العالم. لهذا السبب، ينظر البعض إلى الليبرالية الحديثة كمرادف لـ «إجماع واشنطن» أى سياسة صندوق النقد الدولى (IMF)، والبنك الدولى، والخزانة الأمريكية فى أواخر القرن

العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين. كان المحور الأساسى لمدرسة الليبراليين الجدد هى (باقتباس كلمات تاتشر) لا يوجد بديل آخر لـ «عولمة الرأسمالية». اختصر هذا الشعار عادة إلى «There Is No Alternative -TINA».

بحلول أواخر الثمانينيات وبداية التسعينيات، اعتنق سياسات الليبرالية الحديثة ما يُطلق عليه اصطلاحيا يسار الوسط، مثل تأييد **بيل كلينتون** رئيس الولايات المتحدة الأمريكية لاتفاق التجارة الحرة لأمريكا الشمالية. رأى **كلينتون** أن التجارة الحرة ضرورية لبرنامجه الاقتصادى، الذى يشجع وضع أسس حقوق الملكية الفكرية والتقنية كوسائل يمكن للولايات المتحدة عن طريقها أن تُحد أو تتحكم فى موازنتها الغارقة فى العجز التجارى. جادل بعض اقتصاديو يسار الوسط من الليبراليين الحديثين أن الحمائية ليست من بين قضايا اليسار أو اليمين، ولذلك فإنها تتمتع بأهمية عامة للجميع. تبنت السياسات الليبرالية الحديثة الكثير من أفكار أحزاب الاتجاه الثالث، وتضم حزب العمل الجديد فى بريطانيا، والحزب الديمقراطى الاشتراكى فى ألمانيا (SPD). اختارت هذه الحكومات استمرار سياسات الثمانينيات، موضحة إمكان تنفيذها بأسلوب أكثر عدالة يؤدى إلى منافع اجتماعية جمة، وتربط الدول الشيوعية المحررة حديثًا باقتصاد العالم المتقدم.

إن نقاد الليبرالية الحديثة فى النظرية والتطبيق لا حصر لهم. وينطبق ذلك بالذات على الدول النامية التى امتلك الأجانب أصولها، والتى قوضت التجارة الحرة وحرية تدفق رءوس الأموال (دخولاً وخروجًا)

مؤسساتها المحلية السياسية والاقتصادية غير النامية. يوجد حتى داخل حركة الليبرالية الحديثة نقد حاد عن كيفية طلب الكثير من الدول المتقدمة من الدول الأخرى تحرير أسواقها للسلع المصنّعة، بينما تلك الدول المتقدمة تحمى منتجاتها الزراعية.

مناهضو العولمة هم الخصوم العتاة لليبرالية الحديثة، خاصة تنفيذها على شكل «تدفق حر لرأس المال» وليس «تدفق حر للعمالة». إنهم يجادلون بأن السياسات الليبرالية الحديثة تشجع «السباق نحو القاع» حيث تتدفق رءوس الأموال إلى أدنى مستويات البيئة والعمال، وأنها مجرد تحديث لإمبريالية «أفقر جارك»، التى ترجع إلى الوراء مائتى عام. وهم بذلك على اتفاق جوهرى على الكثير من أخطار أخلاقية الليبرالية الحديثة.

يجادل بعض الاقتصاديين بأن السياسات الليبرالية الحديثة يمكن أن تؤدى إلى «مخاطر أخلاقية». وأن الحكومات والمؤسسات المالية الدولية يجب أن تكفل الدول النامية ودائنيهم لأنها «ديون ضخمة للغاية بحيث يصعب إسقاطها».

يشجع ذلك مزيد من التعرض للمخاطر والأزمات. وهم يشيرون إلى سلسلة من العملات التى انهارت فى العديد من الدول ـ مثل: المكسيك، والأرجنتين، وروسيا، وأوروبا الشرقية، وشرق آسيا، ـ كبرهان على مخاطرة المجازفة دون إجراءات عقابية أو تنظيمات.

كما قال مؤرخ جامعة بيركلى بـ **(كاليفورنيا)** الاقتصادى والمدافع عن الليبرالية الحديثة البروفيسور **براد دى لونج**، فإن لهذه التسمية معتقدين :

الأول هو أن الصلة الاقتصادية الوثيقة بين القلب الصناعى [للاقتصاد الرأسمالى العالمى] والدول النامية على الأطراف، هو أفضل أسلوب للتعجيل بنقل التكنولوچيا، التى تعد الشرط الضرورى لإثراء الاقتصاديات الفقيرة (من هنا لابد من إزالة عوائق التجارة الدولية بأسرع ما يمكن). والأمر الثانى أن الحكومات على وجه العموم تفتقر إلى القدرة على إدارة المشروعات الصناعية والتجارية العملاقة. [باستثناء] المهام الجوهرية لتوزيع الدخل، والبنية الأساسية التى تخدم الصالح العام، وإدارة العدالة، وأمور أخرى قليلة غيرها، ولهذا السبب يجب أن تتقلص الحكومة وتنتشر الخصخصة.

يمثل هذان المعتقدان جوانب من «نظرية التقطير إلى أسفل»، بمعنى أنه فى ظل رأسمالية السوق الحرة، يؤدى الازدهار الاقتصادى والتحول إلى التكنولوچيا إلى نفع أفقر البلاد والشعوب، حتى إذا هيمنت على هذه العملية شركات متعددة الجنسيات والصفوة الأثرياء فى داخل بلد ما، ومنظمات مثل صندوق النقد الدولى الذى يسيطر عليه ممولو الدول الغنية. يشير نقاد الليبرالية الحديثة إلى أن هذه الادعاءات تتناقض مع سجلات الواقع. أما المدافعون عنها فيقولون «التنمية هى الحرية» (بمعنى رأسمالية السوق الحرة)، ويرون فيها تحقيق المزيد من التطور الاقتصادى،

والتخصص، والفرص أمام الأفراد، أكثر من مجرد بنيات متحجرة لا يمكنها أن تؤدى إلا إلى حماية واهمة.

لقد أصبحت الليبرالية الحديثة رائجة بين علماء الاقتصاد، ليس فقط كتوازن مع تغير مراكز النفوذ السياسية، ولكن كما قرر الكثيرون أنه بعد الحرب العالمية الثانية، لم تستطع إستراتيجيات التنمية القومية فى الدول الفقيرة أن تؤدى إلى النتائج المرجوة، خاصة تمويل المشروعات الضخمة التى كبلت الدول الفقيرة بالديون البالغة وتنمية هزيلة لا تصمد أمام هذه الديون. كان رواج الليبرالية الحديثة رد فعل للإخفاقات الملحوظة للسياسات الشعبية وسياسات الليبرالية الاقتصادية الجديدة، مثل الاستعاضة عن الاستيراد بالتصنيع.

تم تفسير الإخفاقات المزعومة لسياسات شرق آسيا (تايوان، وكوريا الجنوبية) القائمة على صادرات توجهها الدولة من أجل تحقيق التطور الاقتصادى، والاقتصاديات مركزية التخطيط أو «الشيوعية» على أنها تحتاج إلى علاج عن طريق الليبرالية الحديثة. باستثناء نجاح الصين، فإن معظم الدول ذات التخطيط المركزى انحدرت كل على حدة، اقتصاديًا وسياسيًا فى أواخر الثمانينيات وبداية التسعينيات. انْتَقَدَتْ اشتراكية السوق الصينية بسبب تحولها إلى رأسمالية (المحاسيب)، فى ظل أسواق مغلقة، والتأثير على أسعار صرف العملات والأسهم، والقيود على الواردات، التى أضرت بالكثير من الاقتصاديات التى قادها التصدير. حاججت الصين أنها كدولة نامية، لا تستطيع أن تتمسك بمقاييس الدول المتقدمة بنفسها، وأن بها كمًا هائلاً من العمالة الماهرة الرخيصة، وقاعدة

صناعية واسعة، كوسيلة لإبقاء الحواجز التى لا تتغاضى عنها الدول الأخرى.

وكما لاحظنا، ترتبط عقيدة الليبرالية الحديثة بما يطلق عليه «إجماع واشنطن»، وهى مجموعة أهداف سياسية صُممت لدول أمريكا اللاتينية. بالإضافة إلى معتقدات الليبرالية الحديثة التى لاحظها البروفيسور **دى لونج**، يشترط «إجماع واشنطن» على كل دولة أن يكون لها معدلات صرف مستقرة، وميزانية حكومية متوازنة.

استخدم البعض مصطلحات الليبرالية الحديثة أو الليبرالية الكلاسيكية بالتبادل، إلا أنه توجد اختلافات بين الفلسفتين، فبينما تشترك الفلسفتان فى الإيمان باقتصاديات السوق والتجارة الحرة، وتشترك نظرية الاقتصاديات الليبرالية الحديثة مع نظرية العلاقات الدولية الليبرالية الحديثة (والدولية الليبرالية) الاعتقاد بالنظم الدولية ودرجة من درجات التحكم والسيطرة العالمية كوسائل للتفاوض بشأن الاتفاقات الدولية وإدارتها، ويعتقد الليبراليون المُحدَثون أن الاعتماد المتبادل للاقتصاد والسياسة [بين الشعوب] سوف يؤدى إلى التقدم وإلى الحد من التوتر الدولى، أو على الأقل تحول الدول عن اللجوء للأساليب العسكرية لحل الصراعات، بينما يرفض الليبراليون الكلاسيكيون سعى أنصار الليبرالية الحديثة إلى إنشاء أجهزة الحكم العالمية أو اتفاق الدول بمعاهدات على أنظمة دولية.

تقبل أوجه كثيرة لليبرالية الحديثة نظرية الاقتصاد الكبير التى تفترض التوظيف الكامل، والتوقعات العقلانية، مما يعنى أنها نظرية اقتصادية

حديثة للكلاسيكية الحديثة والسوق الحرة. يعول آخرون على هبات صندوق النقد الدولي وخبرته التقنية هو وغيره من مؤسسات التمويل الدولية لحل مشكلات العالم الاقتصادية.

الممارسة

تتفاوت ممارسة أفكار الليبراليين الحديثين تفاوتًا شديدًا. يرى بعض أنصار الليبرالية الحديثة أن الشفافية والتنمية، وتناسق النظم، تعد أهم الأهداف، بينما يرى كثيرون آخرون أن الهدف الأساسي هو تفكيك نظم الدولة. انتقد الكثيرون من رواد تنفيذ السياسات الليبرالية الحديثة الأسلوب الذي تم به تنفيذ هذه السياسات. أنحى البعض باللوم مباشرةً على مؤسسات مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، بينما يجادل البعض بأنه عندما بدأ صندوق النقد الدولي والبنك الدولي التدخل، كانت المشاكل قد أصبحت بالفعل مزمنة ـ ووجهوا اللوم لمنهج «العلاج بالصدمة» الذي اتُبع في الثمانينيات على أنه السبب في الكثير من الضرر الاقتصادي، وأوضحوا أن «القَرَعة القوية» للتسويق للسوق الحرة، مثل ذلك الذي حدث في روسيا، أدى إلى تحكم قلة مركزية فاسدة في الاقتصاد، على العكس تمامًا مما اقترحته الليبرالية الحديثة (ورغم أن المدافعين أشاروا لنجاح الإصلاحات السريعة في إستونيا وبولندا، والمشكلات الاقتصادية التي واجهتها دول اتبعت سياسات إصلاح متباطئة مثل مولدوفيا وروسيا).

حدثت إخفاقات كارثية. اتهم **جوزيف ستيجلتز** الحائز على جائزة نوبل، ورئيس الاقتصاديين السابق للبنك الدولى، صندوق النقد الدولى بأنه فرض سياسة ليبرالية جديدة و«إجماع واشنطن» على دول فى وقت لم تكن أوضاعها تسمح بذلك (مثل الأزمة المالية فى آسيا)، مما خلّف دماراً. أدى منهج تطبيق سياسة واحدة دون الأخذ فى الاعتبار ما تؤدى إليه هذه السياسة من آثار إلى هذه الأزمات، حيث حث صندوق النقد الدولى الحكومات على خفض ميزانياتها فى الوقت الذى لم يكن عجز الميزانيات سببا لتلك الأزمات.

وجه الشعبيون والديمقراطيون الاشتراكيون ومعادو الرأسمالية النقد لليبرالية الحديثة، وحاجُّوا بأن قوى السوق الجامحة لا مفر من أنها تزيد عدم المساواة فى توزيع الثروة وبالتالى عدم المساواة فى النفوذ.

لخص البروفيسور **روبرت بولين** فى كتاب حديث سجل الليبرالية الحديثة. وباستبعاد الصين التى لم تتبعها، فإن حقبة «الدول النامية» (١٩٦١ ـ ١٩٨٠م) شهد معدل نمو حقيقى لكل فرد من الناتج الإجمالى القومى الحقيقى وبلغ إلى متوسط ٢,٣ فى المائة سنويا. ومن ناحية أخرى، فإنه فى عصر الليبرالية الحديثة (١٩٨١ ـ ١٩٩٩م) انخفض معدل النمو إلى ٠,٧٪ سنويا، وهو تباطؤ بشكل كلى ونسبى مع الدول الأكثر ثراء من بين دول منظمة التجارة الحرة الأوروبية. ارتفعت معدلات دخل الفرد فى الصين التى تحولت من اقتصاد مخطط عن طريق الدولة إلى اقتصاد تصدير توجهه الحكومة من ٢,٥ فى المائة إلى ٨,٤ فى المائة فى خلال تلك الفترة (انظر **روبرت بولين**، **[طريق الانحدار]**،

ص(١٣١). يظهر **بولين** كذلك الزيادة السريعة فى تفاوت الدخل بين تلك الفترات، خاصة عندما يتم استثناء الصين من العينة التى خضعت للدراسة.

يجادل كثير من الليبراليين الحديثين أن عدم المساواة العالمى قد تضاءل منذ السبعينيات. كذلك فى الصين ارتفع معدل التنمية بعد الإصلاحات الاقتصادية بين الأفقر عما كان من ذى قبل، وأصبح أكثر ارتفاعا عن معدله فى الدول الغربية، وإن لم يكن بمعدل ارتفاعه نفسه فى الأجزاء الشرقية من الصين.

من الأسئلة المطروحة للبحث إذا ما كان العالم الغربى ما زالت تهيمن عليه السياسات الليبرالية الحديثة. بينما فى الاتحاد الأوروبى ودول أخرى سياسات تدعم حقوق العمال، فإن بعض العلماء يجادلون بأن ذلك الدعم تطويع للنموذج الأساسى لاقتصاديات الليبرالية الحديثة أكثر منه حركة فى الاتجاه البعيد عنها.

من هو الليبرالى الحديث؟

كما هو فى كثير من المصطلحات السياسية، فإنه طالما استخدمت الكلمة بأساليب مختلفة بين الجماعات المختلفة، فإنه يمكن تصنيف أشخاص مختلفين بأساليب مختلفة بناءً على ذلك. إن أكثر التعريفات حسمًا لليبرالى الجديد هى «دعه يعمل [أى عدم التدخل] وسوق رأسمالية، وخصخصة، وترتيبات تجارية». بموجب هذا التعريف

المحدد، تكون الليبرالية الحديثة سياسة محافظة لمشروعات الأعمال، تهدف إلى فرض نظام ميزانية صارم على الدول المتقدمة والنامية بإلزامها ـ كلها إلا الولايات المتحدة ـ بميزانيات متوازنة وتدفق التجارة. يقوم ذلك على تفسير خاص لنموذج **(موندل ـ فليمنج)** ويرتبط بشكل أكثر بـ «إجماع واشنطن». بناءً على هذه المصطلحات، يكون الليبراليون الحديثون البارزون هم شخصيات مثل: **رونالد ريجان، ومارجريت تاتشر، وروبرت بارو، وآلان جرينسپان**.

بالمعنى الموسع، الليبرالى الحديث شخص يقر صيغة پروفيسور **دى لونج** للليبرالية الحديثة، ويؤيد منع الحكومة عن توفير الخير العام [دولة الرفاهة]، ويؤيد عولمة التجارة الحرة. من منطلق هذا التعريف الموسع، يعد **روبرت روبين، وچوزيف ستيجلتز، وأمارتياسن** «ليبراليين مُحدَثين»، رغم أن هؤلاء الثلاثة طالما وجهوا نقدا عنيفا لليبرالية الحديثة ذات الشكل الأكثر تقييدًا، والطريقة التى تصرفت بها مؤسسات مثل صندوق النقد والبنك الدوليين بعد عصر بريتون وودز.

يمكن الوقوف على الجدال الأساسى بين الاستخدامين من الانتقادات التى وجهها **ستيجلتز** لـ «إجماع واشنطن»، أى أساسًا على المعايير التى اتبعها، وأنه بينما تعد العولمة والتجارة العالمية أمرين جيدين، إلا أنه تم إدارتها بطريقة تبدو وأنها صممت فى الأغلب لإفقار الدول الأكثر فقرًا. وهو ينوه بشكل خاص على الدعم الزراعى والحواجز [فى الولايات المتحدة وأوروپا الغربية]، والآثار المخربة لـ «الأموال الساخنة» [التى تدخل وتخرج من البورصة سريعًا] كأداة للاستثمار الأجنبى. بالنسبة

لليبرالى الحديث المؤمن بعدم التدخل، فرغم اعترافه بأن الدعم الزراعى سيئ، فلا يمثل أى من هذه الأمور اتهاما لسياسات حرية العمل.

أحد أبرز الليبراليين الجدد الذى لم يشغل منصبًا حكوميًا رسميًا هو الصحفى **توماس إل. فريدمان**، الذى داوم فى عموده فى النيويورك تايمز على تأييد التجارة العالمية الليبرالية، بينما ينتقد كذلك الدعم الزراعى، ويؤيد شبكة ضمان اجتماعى أقوى لحماية العمال الذين تأثروا سلبيا بالعولمة.

تعريفات بديلة لليبرالية الحديثة

- سياسة حكومة تجمع بين أسواق حرة محلية وانفتاح إجبارى على الأسواق الأجنبية بالوسائل السياسية.
- فلسفة يكون عمل السوق ذا قيمة فى ذاته، منفصلة عن أى علاقة سابقة مع إنتاج السلع والخدمات، ودون أى محاولة لتبريرها بموجب آثارها على إنتاجية البضائع والخدمات؛ وحيث يُنظر إلى عمل السوق (أو أشباه السوق) كمصدر للقيم الأخلاقية فى حد ذاته، قادرة على العمل كمرشد لجميع تصرفات البشر، وبديل عن كل المعتقدات الأخلاقية الموجودة من قبل.
- حكم السوق، ورفض مفهوم «الصالح العام» أو «المجتمع».
- السياسات والعمليات التى تكفل لحفنة من أصحاب من المصالح الخاصة التحكم بأقصى درجة ممكنة فى الحياة الاجتماعية من أجل تعظيم أرباحهم الشخصية.

● حافز لربط القيم الاجتماعية بالقيم الاقتصادية، مثل: التغيير المُتَعَمد للمعتقدات والممارسات للكنائس (خاصة الإيڤانجليكية).

الليبرالية الأمريكية

الليبرالية الأمريكية هى اتجاه سياسى زعم أنه من سلالة الليبرالية الكلاسيكية، من منطلق الإخلاص لبعض مظاهر الحرية الفردية، لكنه يرفض اقتصاديات السوق الحرة لليبرالية الكلاسيكية لصالح مؤسسات تعزز المساواة الاجتماعية والاقتصادية. يُعتقد ـ على وجه العموم ـ أن الليبرالية الأمريكية بدأت فى العقود الأولى من القرن العشرين، وسيطرت سيطرة شديدة فى سنوات «الصفقة الجديدة». تضاءل تأثيرها إلى حد ما فى السبعينيات، واتضح ذلك بوجه خاص مع انتصار **رونالد ريجان** على **چيمى كارتر** عام ١٩٨٠م فى انتخابات الرئاسة، والأحداث التى تتطابقت مع تحول ١٢ مقعدًا من مقاعد مجلس الشيوخ، وما ماثلها من أحداث فى أوروبا. كثيرا ما يُشار إلى تلك الأحداث على أنها ثورة **ريجان**، أو ثورة المحافظين.

أيد برنامج الليبرالية الأمريكية [حتى سبعينيات القرن العشرين] اللجوء إلى مؤسسات حكومية وإجراءات سياسية، من ضمنها ضرائب تصاعدية، وقوانين للحد الأدنى للأجور، وقوانين مناهضة التمييز، والبرامج الاجتماعية، من أجل إتاحة فرص لجميع المواطنين وحماية الحريات الشخصية من القواعد الاجتماعية التقييدية. كذلك أيد الليبراليون الأمريكيون وضع قواعد للأنشطة البشرية، مثل: قواعد

للمؤسسات الكبرى، وقواعد بيع السلاح للأفراد، وذلك لإقامة توازن بين جميع حقوق الأفراد.

تاريخ الليبرالية الأمريكية

الليبرالية الأمريكية المبكرة

كان **هربرت كرولى** (١٨٦٩ ـ ١٩٣٠م)، وهو فيلسوف ومنظِّر سياسى، أول من ربط بشكل كفء نظرية الليبرالية الكلاسيكية بفلسفة تقدمية لتكوين ما أصبح معروفا باسم «الليبرالية الأمريكية». قدم **كرولى** قضية الاقتصاد المخطط، ومزيد من الإنفاق على التعليم، وخلق مجتمع يقوم على «أخوّة الجنس البشرى»، تلك الأفكار التى أصبحت حاليا جزءاً تكميليًا فى عمل الحكومة الأمريكية. أنشأ **كرولى** دورية «الجمهورية الجديدة» التى ما زالت تصدر، والتى ظلت تعرض الأفكار الليبرالية. أثرت أفكار **كرولى** فى الرؤى السياسية لكل من **تيودور روزفلت وودرو ويلسون**. نشر **كرولى** فى عام ١٩٠٩م كتاب [***وعد الحياة الأمريكية***]، الذى اقترح فيه رفع مستوى المعيشة العام عن طريق الاقتصاد المخطط، والذى عارض فيه تطرف العمل النقابى. فى عام ١٩١٥م نشر كرولى كتاب [***تقنيات الديمقراطية***]، ذلك الكتاب الذى ناضل فيه ضد كل من الدوجماطيقية (العقيدة) الفردية والاشتراكية.

الصفقة الجديدة

قدم الرئيس **فرانكلين د. روزفلت** (١٨٨٢ ـ ١٩٤٥م) ـ الذى أعلن

عن نفسه أنه ليبرالى ـ برنامجه الجديد الذى سماه «الصفقة الجديدة» الذى سوف يحد ـ بدعم الأغلبية من الأمريكيين ـ من الحاجة الاقتصادية، ويفتح مجال فرص كبيرة، ويُخرِجُ الولايات المتحدة من الكساد الكبير. متعجلاً لنهاية الحرب العالمية الثانية، أيد **روزڤلت** الأمم المتحدة كوسيلة لتشجيع التعاون المتبادل (بدلا من التهديدات واللجوء لاستخدام القوة) لحل المشكلات على الساحة الدولية. اعتبر **فرانكلين روزڤلت** أن **وودرو ويلسون** ـ مهندس عصبة الأمم الفاشلة، معلمه الناصح الأمين.

خلال فترة رئاسته منذ (١٩٣٣ ـ ١٩٤٥م)، وهى أطول فترة رئاسة فى تاريخ الولايات المتحدة، كان لـ **(فرانكلين روزڤلت)** وزوجته **إليانور روزڤلت** دفعات عظيمة فى اتجاه تحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة العرقية. تكونت الصفقة الجديدة من ثلاثة برامج إصلاحية من ثلاثة أنواع كى تحقق «الشفاء من الكساد ـ استعادة النشاط الاقتصادى ـ الإصلاح ـ Relief - Recovery - Reform».

الشفاء من الكساد ـ عبارة عن جهد مباشر لمساعدة ثلث السكان الذين تضرروا كثيرا من الكساد. وسع **روزڤلت** من برنامج هوڤر (FERA) للعمل، وأضاف رابطة الحفاظ على المدنيين (CCC)، وإدارة الأعمال العامة (WPA)، ومن عام ١٩٣٥م إدارة تقدم الأعمال (WPA). وكذلك أضاف فى عام ١٩٣٥م قانون الضمان الاجتماعى (SSA) وبرنامج التأمين ضد البطالة، وأقيمت برامج منفصلة للتخفيف من أعباء المناطق الريفية الأمريكية.

استعادة النشاط الاقتصادى ـ كان هدفه إعادة الاقتصاد إلى ما كان عليه مستواه قبل الكساد. اشتمل على الإنفاق الحكومى، إسقاط معيار الذهب، وجهود لرفع أسعار المحاصيل الزراعية التى انخفضت للغاية، وجهود لزيادة التجارة الخارجية. كانت معظم جهود الصفقة الجديدة لمساعدة المؤسسات الأمريكية موجهة من خلال برنامج هوفر، ومؤسسة إعادة هيكلة التمويل (RFC).

الإصلاح ـ قام على أساس من افتراض أن أسباب الكساد هى اللااستقرارية المتأصلة فى السوق، وأن تدخل الحكومة أمر ضرورى لترشيد وتثبيت الاقتصاد، وموازنة مصالح الفلاحين، مع مشروعات الأعمال، والعمالة. تضمن الإصلاح إقرار قانون تنشيط الصناعة المحلية، وتنظيمات خاصة ببورصة (وول ستريت)، وقانون الضبط الزراعى لبرامج المزارع (١٩٣٣م وما بعدها)، ومؤسسة تأمين الودائع الفيدرالية، وهى لتأمين ودائع البنوك، تم تفعيلها من خلال قانون عام ١٩٣٣م المعروف بقانون البنوك، وقانون علاقات العمل الداخلية لعام ١٩٣٣م (والمعروف أيضا باسم قانون واجنر) والذى يشجع الاتحادات العمالية. ورغم إلحاح الكثيرين من مؤيدى الصفقة الجديدة، لم تتضمن برامج لمناهضة الاحتكار. عارض الاشتراكية (من حيث امتلاك الدولة لوسائل الإنتاج)، وكان هناك برنامج وحيد كبير، تملكت فيه الحكومة وسائل الإنتاج، وكان فى وادى تنيسى (TVA).

الليبرالية الأمريكية أثناء الحرب الباردة

كانت الليبرالية الأمريكية فى فترة الحرب الباردة هى الوريث المباشر للصفقة الجديدة لـ **«فرانكلين ديلانو روزفلت»**، والوريث البعيد ـ إلى حد ما ـ للبرنامج التقدمى فى بداية القرن العشرين.

يمكن أن نعثر على العقائد الجوهرية لليبرالية الحرب الباردة فى الحريات الأربع لـ **«روزفلت»** (١٩٤١م) من بينها: حرية التعبير، وحرية العبادة، وهى حريات ليبرالية كلاسيكية، مثلها مثل «التحرر من الخوف» (التحرر من طغيان الحكومة)، إلا أن الحرية الرابعة «التحرر من الحاجة» كان أمراً جديداً آخر. اقترح **روزفلت** فكرة للحرية تتجاوز عدم تدخل الحكومة فى الحياة الشخصية. إن «التحرر من الحاجة» قد يبرر عمل حكومى إيجابى للوفاء بالحاجات الاقتصادية، وهو مفهوم يرتبط على نحو أكبر بالاشتراكية والديمقراطية الاشتراكية، أكثر مما يرتبط بالبنود السابقة لليبرالية.

تُعَرفُ ليبرالية الحرب الباردة نفسها بمعارضتها لكل من الشيوعية، والمحافظة (أى الفكر المحافظ). تشبه الليبرالية الأمريكية الليبرالية الكلاسيكية (الأولى، أو الأصلية، أو التقليدية) من حيث رؤيتها لكثير من القضايا الاجتماعية، إلا أن رؤيتها الاقتصادية ليست هى ليبرالية السوق الحرة، وهى بدلا من ذلك تمثل نسقا معتدلاً من الديمقراطية الاشتراكية.

كانت الوجوه الأكثر بروزا ودواما من بين مواقف ليبرالية الحرب الباردة:

١ ـ الاقتصاد المحلى المبنى على توازن القوى بين العمال (فى شكل اتحادات منظمة) والإدارة (بميلها تجاه المؤسسات الضخمة أكثر من مشروعات الأعمال الصغيرة).

٢ ـ سياسة خارجية تركز على احتواء الاتحاد السوفييتى وحلفائه.

٣ ـ استمرارية وتوسع برامج الصفقة الجديدة المخصصة للرخاء الاجتماعى (بالمعنى العريض للرخاء، متضمنا برامج مثل التأمين الاجتماعى).

٤ ـ اعتناق أفكار الاقتصاديات الكينزية. عن طريق الحلول الوسط مع التجمعات السياسية اليمينية، غالبًا ما يصبح ذلك فى الممارسة شكلاً من أشكال الكينزية العسكرية.

يشابه ذلك بشكل من الأشكال ما تشير إليه بلاد أخرى على أنه ديمقراطية اشتراكية. على أى الأحوال، فإن ليبرالية الولايات المتحدة الأمريكية على عكس الديمقراطية الاشتراكية الأوروبية لم تقر ـ بشكل واسع ـ تأميم الصناعة.

فى الخمسينيات والستينيات، ضم حزبا الولايات المتحدة الرئيسيين مجموعات ليبرالية وأخرى محافظة. كان هناك جناحان فى الحزب الديمقراطى: جناح الليبراليين الشماليين والغربيين، وعلى الجناح الآخر بيض الجنوب المحافظين. وأما ديمقراطيو مدن الشمال (الماكينات السياسية) فيصعب تصنيفهم. أيدت (ماكينات المدن) السياسات

الاقتصادية للصفقة الجديدة، لكنها تباعدت شيئا فشيئا عن هذا التأييد حول القضايا العرقية. قسّم بعض المؤرخين الحزب الجمهورى إلى ليبراليى وول ستريت ومحافظى مين ستريت؛ ولاحظ آخرون أن الجمهوريين هم عادة من سكان الولايات البعيدة عن الماء (**روبرت تافت** من ولاية أوهايو **وبارى جولد ووتر** من ولاية أريزونا) وأن الليبراليين أغلبهم من كاليفورنيا (**إيرل وارين وپول إن. «پيت» ماكلوسكى**)، نيويورك (انظر: **نلسون روكفلر**)، وغيرها من الولايات الساحلية.

فى أواخر الأربعينيات، لم يعد الليبراليون على وجه العموم ينظرون إلى **هارى س. ترومان** كواحد منهم، وإنما كأحد أعضاء الحزب الديمقراطى. ووقف كل من السياسيين الليبراليين والمنظمات الليبرالية مثل «الأمريكيون من أجل العمل الديمقراطى ـ ADA» إلى جانب **ترومان** فى مناهضة الشيوعيين فى الداخل والخارج، أحيانا بالتضحية بالحريات المدنية. وعلى سبيل المثال، قدم ليبرالى الحرب الباردة **هيوبرت. إتش همفرى** ـ والمشارك فى تأسيس ووضع النموذج الأصلى لعمل «ADA»؛ إلى مجلس الشيوخ (فى عام ١٩٥٠م) مشروع لإنشاء مراكز احتجاز حيث يتم احتجاز من يعلن الرئيس أنهم مخربون، دون محاكمة، ولكنه لم ينجح.

ومع ذلك، فإن الليبراليين عارضوا المكارثية وكانوا حجر الزاوية فى سقوط مكارثى.

الإجماع الليبرالى

بحلول خمسينيات القرن العشرين، سادت الأيديولوجية الليبرالية فكريا لدرجة جعلت الناقد الأدبى **ليونيل تريلنج** يكتب أن «الليبرالية ليست فقط مسيطرة، بل هى التقليد الفكرى الوحيد... ولا وجود لتداول أفكار محافظة أو حتى ردود فكرية على الليبرالية، وإنما [مجرد] إيماءات فكرية تسعى لأن تكون مشابهة للأفكار» [**لافام** ٢٠٠٤م].

أصبحت ليبرالية الحرب الباردة، لما يقرب من عقدين، هى الصيغة المسيطرة على سياسات الولايات المتحدة الأمريكية، ووصلت إلى ذروتها بانتصار **ليندون چونسون** الساحق على **بارى جولد ووتر** فى انتخابات الرئاسة عام ١٩٦٤م. كان **ليندون چونسون** ديمقراطى الصفقة الجديدة فى الثلاثينيات، وبحلول الخمسينيات قرر أنه على الحزب الديمقراطى أن يتخلى عن ماضيه المتمثل فى الإيمان بالفصل العنصرى، ويقر ليبرالية الأعراق وكذلك الليبرالية الاقتصادية. وفى عقب هزيمة **جولد ووتر** الساحقة، تبنى الجمهوريون بعض أفكار **چونسون** كما لو كانت أفكارهم، وأصبحت سياسات الرئيس **چونسون** هى سياسات الرؤساء الجمهوريين التاليين له مثل: **ريتشارد إم. نيكسون وفورد**.

الليبراليون والحقوق المدنية

ظهرت ليبرالية الحرب الباردة فى وقت كان فيه معظم الأمريكيين الأفارقة، خاصة فى الجنوب، محرومين من حقوقهم السياسية والاقتصادية المشروعة. وبداية من تقرير البيت الأبيض فى عهد **ترومان**

عام ١٩٤٧م عن [**كفالة تلك الحقوق**]، اعتنق الليبراليون حركة الحقوق المدنية. وفى عام ١٩٤٨م، أقدم الرئيس **ترومان** على منع الفصل العنصرى فى صفوف القوات المسلحة، وأدخل الديمقراطيون بنوداً قوية خاصة بالحقوق المدنية فى برنامج الحزب. ومن الناحية التشريعية، وصلت حركة الحقوق المدنية إلى ذروتها بإقرار قانون الحقوق المدنية عام ١٩٦٤م وقانون حق الاقتراع لعام ١٩٦٥م[١].

وأثناء الستينيات، شاب التوتر الشديد العلاقات بين الليبراليين البيض وحركة الحقوق المدنية؛ اتهم قادة الحقوق المدنية الساسة الليبراليين بالمماطلة والتسويف. ورغم أن الرئيس **كنيدى** أرسل قوات فيدرالية لإجبار جامعة مسيسيبى على السماح للأمريكى من أصل إفريقى - **چيمس ميريديث** - بدخول الجامعة عام ١٩٦٢م، وأن قائد حركة الحقوق المدنية **مارتن لوثر كنج** الابن خفف من حدة مسيرة واشنطن (١٩٦٣م) بناء على توصية الرئيس **كنيدى**، فإن الفشل فى اشتراك ممثلى الحزب الديمقراطى للحريات فى ولاية مسيسيبى فى المؤتمر الوطنى الديمقراطى عام ١٩٦٤م، مثل صدعا متفاقما. لم يستطع الرئيس **چونسون** فهم سبب إخفاق قوانين الحقوق المدنية المؤثرة فى ظل فترة رئاسته فى تحصين مدن الشمال والجنوب من الانخراط فى أحداث شغب. وفى الوقت نفسه، تمزقت حركة الحقوق المدنية ذاتها. وبحلول عام ١٩٦٦م، بزغت حركة (القوة السوداء)؛ أيدت الحركة اتهام الليبراليين البيض بمحاولة السيطرة على برنامج الحقوق المدنية. رغب مؤيدو الحركة فى أن يتبع

(١) لم يكن للسود حق الاقتراع حتى عام ١٩٦٥م - المترجمة.

الأمريكيون الأفارقة «نموذجا عرقيا» من أجل الحصول على النفوذ، نموذجا لا يختلف عن ذلك النموذج السياسى الديمقراطى فى المدن الكبرى. أدى ذلك إلى تصادمهم الشديد مع ساسة المناطق الحضرية. وضمت حركة (القوة السوداء) فى شكلها المتطرف انفصاليين عرقيين ممن أرادوا التخلى عن التضامن كلية - وهو برنامج لا يمكن أن يقره الليبراليون الأمريكيون من أى جنس. إن مجرد وجود مثل هؤلاء الأشخاص (الذين حازوا على المزيد من اهتمام وسائل الإعلام بما لا يتناسب مع أعدادهم الفعلية) ساهم فى «حركة البيض الرجعية» ضد أنشطة الليبراليين وحركات الحقوق المدنية.

الليبرالية القديمة والمحافظون الجدد

وفقا لما كتبه **ميتشيل ليند** فى أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات «فضّل الكثيرون من الليبراليين المعادين للسوفييت والديمقراطيين الاشتراكيين (طبقًا لتقاليد **ترومان وكنيدى وچونسون، وهمفرى وهنرى چاكسون**) أن يطلقوا على أنفسهم اسم «الليبراليون القدامى»

ووفقا لقول **ليند**، فإن هذه المجموعة من الأشخاص أثروا فى، أو أصبحوا مؤخرا «محافظون جُدد».

الليبراليون وڤيتنام

بينما أدت حركة الحقوق المدنية إلى عزل الليبراليين عن حلفائهم القدامى، فإن حرب ڤيتنام ألقت بإسفين داخل صفوف الليبراليين،

فاصلة «الصقور» من مناصرى الحرب مثل السناتور **هنرى إم. جاكسون** عن «الحمائم» أمثال السناتور (ومرشح الرئاسة لعام ١٩٧٢م) **جورج ماك جوفرن**. ولما كانت الحرب هى القضية السياسية الأولى لذلك الحين، فإن الاتفاق حول أمور محلية لم يكن كافيًا لجمع كلمة الليبراليين.

يمكن أن يُطلق على حرب ڤيتنام «حرب ليبرالية»، كجزء من إستراتيچية احتواء الشيوعية السوڤييتية. فى حملة الدعاية فى انتخابات الرئاسة لعام ١٩٦٠م، كان الليبرالى **كنيدى** أكثر الصقور ضراوة فى مسألة جنوب شرقى آسيا، وأكثر على وجه الخصوص من **نيكسون** المحافظ. ورغم أنه يمكن المجادلة بأن الحرب توسع نطاقها فقط فى حكم **چونسون** الأقل ليبرالية، إلا أنه كانت هناك استمرارية عالية لوزراء الأول فى حكم الثانى.

وعندما زادت حدة معارضة الحرب، جاءت موجة كبيرة من الاعتراضات من داخل صفوف الليبراليين. وفى عام ١٩٦٨م أجبرت حركة «أسقطوا **چونسون**» الرئيس الديمقراطى على أن يخرج من سباق الرئاسة بعدم اشتراكه فى انتخابات الحزب الديمقراطى لمقعد الرئاسة. أدى اغتيال **روبرت كنيدى** إلى خروجه من ساحة المنافسة، وظهر نائب الرئيس **هيوبرت همفرى** من المؤتمر الكارثى للحزب الديمقراطى الذى يعانى من عمق الانقسام. قرر الجناح اليمينى للحزب ترشيح حاكم ألاباما **چورچ والاس**. اختار بعض من الجناح اليسارى الخروج من حلبة الانتخابات أفضل من التصويت لرجل ارتبط اسمه ارتباطا وثيقا بإدارة الرئيس **چونسون** وبعمدة شيكاغو **ريتشارد چيه دالى**. أسفرت

الانتخابات عن نصر محدود لـ «**ريتشارد نيكسون**»، ذلك الرجل الذى رغم أنه من مواطنى ولاية كاليفورنيا، كان كثيرا ما ينظر إليه على أنه من مؤسسة الجمهوريين الشمالية الشرقية القديمة، وأنه المؤمن تمامًا بالليبرالية فى مجالات كثيرة. سَنَّ **نيكسون** سياسات ليبرالية كثيرة، بما فيها إنشاء وكالة حماية البيئة، ووكالة مناهضة تعاطى المخدرات، وجعل العلاقات مع الصين الشيوعية أكثر اعتدالاً، وشرع فى محادثات الحد من الأسلحة الإستراتيجية لتقليل إمكانية صناعة الصواريخ الباليستية.

نيكسون والإجماع الليبرالى

بسبب وضوح الفرق بين نيكسون والليبراليين - يُفضل الجناح الليبرالى لحزبه سياسيين أمثال: **نيلسون روكفلر** و**وليام سكرانتون**، بينما يؤكد **نيكسون** بوضوح - وعلى الملأ على سيادة «القانون والنظام» فوق الحريات المدنية، وتكونت قائمة أعداء **نيكسون** بشكل واسع - من الليبراليين، رغم استمرار **نيكسون** على الكثير من السياسات التى كانت فى عهد **كنيدى** ونائبه **جونسون** ملحوظًا بشكل أكثر عن الاختلاف عن تلك السياسات، وفى إشارة إلى هذه الاستمرارية، أطلق **ناعوم تشومسكى** على **نيكسون** «أنه يعد من عدة جوانب أخرى رئيسًا ليبراليًا».

ورغم ازدياد مناهضة الليبراليين لحرب ڤيتنام، حتى تم ترشيح **جورج ماك جوڤرن** من فريق الحمائم للرئاسة فى عام ١٩٧٢م، فإن الحرب كانت - كما سبق وذكرنا عاليه - ليبرالية المنشأ. وبالمثل، بينما أدان كثير

من الليبراليين بعض تصرفات إدارة **نيكسون**، مثل تأييده للانقلاب العسكرى فى شيلى عام ١٩٧٣م، فإن موقفهم لم يكن بالمثل حال غزو خليج الخنازير عام ١٩٦١م أو إنزال القوات البحرية فى جمهورية الدومينيكان عام ١٩٦٥م.

وهناك مظاهر عدة لسيادة الإجماع الليبرالى حتى فى سنوات حكم **نيكسون**، وذلك تجاه سياسات مثل إنشاء وكالة حماية البيئة، أو اقتراحه (الفاشل) باستبدال نظام دولة الرفاهية بنظام دخل سنوى مضمون عن طريق ضريبة الدخل السلبية. و«حرب **نيكسون** على المخدرات» التى خصص ثلثى ميزانيتها للعلاج، وهى نسبة بالغة الارتفاع عما كان عليه الحال فى أى ممن خلفوه من الرؤساء الجمهوريين أو الديمقراطيين. وبالإضافة إلى ذلك فإن إعادة العلاقات الدبلوماسية مع جمهورية الصين الشعبية، وسياسته مع الاتحاد السوفييتى كانت تلقى قبولا بين صفوف الليبراليين أكثر من القاعدة المحافظة.

وهناك وجهة نظر مخالفة قدمها **كاس د. سنشتاين** فى كتاب [***وثيقة الحقوق الثانية***] (الكتب الرئيسية، ٢٠٠٤م، ISBN 0465083323) تحاجج أن **نيكسون** من خلال تعييناته فى المحكمة العليا، أنهى بشكل فعال عقود طويلة من التوسع فى الحقوق الاقتصادية التى كفلتها قوانين الولايات المتحدة، إلى جانب تلك التى تضمنها من قبل الإعلان العالمى عن حقوق الإنسان، الذى أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٤٨م.

بدأ الإجماع بين الليبراليين فى سنوات **نيكسون** وخلال السبعينيات يتفتت. ضاع التحالف مع ديمقراطى الجنوب البيض فى حقبة صراع الحقوق المدنية. رغم أن حق الاقتراع للأمريكيين الأفارقة قد أخذ فى الاتساع بحيث ضم مقترعين جدد متعاطفين مع الرؤى الليبرالية، إلا أن ذلك لم يكن كافيا لدعم الإجماع بين صفوف الليبراليين. ارتفع مد الاتجاه المحافظ كرد فعل للإخفاقات الملحوظة للسياسات الليبرالية. فقدت العمالة المنظمة التى كانت حصن الإجماع الليبرالى ذروة نفوذها فى الولايات المتحدة، وظل الكثير من الاتحادات العمالية مؤيدة لحرب ڤيتنام، حتى بعد أن انقلب الساسة الليبراليون ضدها. حدث تحول بين صفوف قيادة الحزب الديمقراطى تجاه اليمين بعد الهزيمة الفادحة للزعيم الليبرالى **جورج ماك جوڤرن** عام ١٩٧٢م.

وفى الوقت نفسه، ظهر فى صفوف الجمهوريين جناح من الحزب إلى يمين **نيكسون**. أصبح الجمهوريون من أنصار **جولدووتر** جمهوريى **ريجان**. حصل الجمهورى المحافظ **رونالد ريجان** فى عام ١٩٨٠م على تأييد حزبه لترشيحه لانتخابات الرئاسة، وحققت إدارته سيادة للمذهب المحافظ. وبانتهاء القرن العشرين، ظهر «الجمهوريون الليبراليون» كما لو كانوا رديفًا لمفهومين مختلفين، وبدأت جماعات من الوسط مثل مجلس القيادة الديمقراطى (DLC) التنافس مع الليبراليين على قدم المساواة للتحكم فى الحزب الديمقراطى.

يميل الليبراليون إلى النظر إلى أنفسهم من خلال قرنائهم من الرجال والنساء، وأن حقوقهم ليست أكثر من حقوق الغير، وامتيازاتهم ليست أكبر [ولا أقل] من امتيازات أى فرد آخر، بصرف النظر عن ثروته أو مركزه الاجتماعى. والقيم الليبرالية الأساسية هى تقمص حال الآخر [بمعنى قبوله]، والتعاطف، والثقة، والتعاون. الليبرالية عبارة عن فلسفة تجريبية تحاول إحداث تغييرات لتحسين الحياة، حتى ولو خالفت هذه التغيرات ما سبق الاتفاق عليه وقبوله. لا يمكن قبول العقائد بدون بحثها. تختلف الليبرالية الأمريكية عن الفلسفات السياسية المنافسة لها، ليس فقط من خلال قيم أو أفضليات مختلفة، ولكن كذلك من خلال نظريات معرفة مختلفة. الليبرالية منفتحة أمام التغيير ومستوعبة للتجريبية. يسعى الليبراليون على وجه العموم إلى «اقتصاد مختلط» متوازن ومرن، محتلا مركزا وسطا بين الرأسمالية والاشتراكية، ينكر كل من الرأسماليين والاشتراكيين ـ بصفة عامة ـ فكرة إمكانية تطبيقه.

على وجه العموم، تعد الليبرالية مضادة للاشتراكية التى تعنى ملكية الدولة لأدوات الإنتاج والتوزيع الأساسية؛ لأن الليبراليين الأمريكيين يشكون فى إمكانية استمرار قواعد المعارضة السياسية والحرية فى الوجود، عندما تكون كل السلطات مخولة للدولة. كذلك يشك الليبراليون الأمريكيون فى إمكانية إدارة النظام الاشتراكى. تعتنق فلسفة الليبرالية الأمريكية بمحاذاة الأسس البراجماتية التجريبية لليبرالية، فكرة مؤداها أنه إذا أمكن تحقيق وفرة وسائل المعيشة، وتكافؤ الفرص من

خلال نظام للمشروعات المختلطة، فلن تكون هناك حاجة لبيروقراطية جامدة وقمعية. ذاعت الكثير من هذه الأفكار وانتشرت على يد مفكرين ليبراليين من أمثال: **چون ديوى، ورينهولد نيبوهر، وچون مايناردكينز**، وشكلت أسس الفلسفة الليبرالية الأمريكية. الأب الروحى لليبرالية الأمريكية، هو الرئيس **فرانكلين ديلانو روزڤلت** الذى لم يعتنق ـ علنا ـ نظريات **كينز**، لكن كان هناك أوجه شبه كبيرة بين أعمال الرجلين.

وضعت أفكار فلاسفة ليبراليين من أمثال **كينز**، وسياسيين ليبراليين أمريكيين من أمثال **روزڤلت**، أساس الليبرالية الأمريكية التى ظلت فلسفة سياسية قابلة للتطبيق، اعتنقتها نسبة ضخمة من الأمريكيين.

بعض المواقف المرتبطة بالليبرالية الأمريكية

فى بداية القرن الواحد والعشرين، طبق مصطلح «ليبرالية» فى الولايات المتحدة الأمريكية على نطاق طيف واسع من وجهات النظر. فحينما تبنى الحزب الديمقراطى ـ الذى يعتبر عادة حامل رسالة الليبرالية ـ النظرة المركزية لله (DLC)، أصبح المصطلح «ليبرالى» (الذى ينطبق على الحزب ككل) مرتبطًا حتى بالمرشحين من المركز وبالقضايا التى تدعم، على سبيل المثال، اتخاذ مواقف مناصرة للأعمال (bussiness). لهذا السبب، ولأن كثيرين من جناح اليمين استخدموا مصطلح «ليبرالى» بشكل ازدرائى، تحول بعض الأمريكيين من اليسار السياسى إلى حركة التقدميين.

من ناحية أخرى، استخدام المرتبطون بأفكار (DLC) مصطلح «الليبرالية الحديثة ـ neo liberalism» لوصف الشكل الذى يعتبرونه نمطا أكثر پراجماتية وتوجها للنتائج من الليبرالية الأمريكية. خلق هذا الاستخدام اضطرابا وتشوشا، حيث استخدم المصطلح نفسه لوصف إحياء الليبرالية الكلاسيكية على المستوى الدولى، وما يرتبط به من السياسات الراديكالية للسوق الحرة، والمرتبطة بسياسيين من أمثال: **مارجريت تاتشر ورونالد ريجان**.

ترتبط التوجهات التالية بالليبرالية الأمريكية، رغم أن الكثيرين ممن يعتبرون أنفسهم ليبراليين، سوف يتقبلون بعضًا منها ويرفضون البعض الآخر:

- دعم البرامج الاجتماعية الحكومية مثل: برامج الرفاهية، والرعاية الصحية، وتعويضات البطالة، وبرامج التقاعد.
- تأييد زيادة ميزانية التعليم الحكومى.
- تأييد الاتحادات التجارية ونقابات المعلمين، وحماية حكومية للعمالة المنظمة.
- قواعد لتنظيم الأعمال - ومكافحة عمالة الأطفال، والممارسات الاحتكارية، وغيرها.
- دعم الحقوق المدنية:

ـ تأييد القوانين المناهضة للتمييز بناء على النوع، أو العرق، أو العمر، أو الديانة، أو الميول الجنسية، أو العجز.

- دعم القوانين التى تكفل حقوق النساء والأقليات، خاصة الأقليات العرقية والدينية، والمعاقين، والمثليين (الشواذ).

- تأييد برامج مثل العمل الإيجابى وبرامج التعليم متعددة اللغات للأطفال الذين يتكلمون الإنجليزية كلغة ثانية.

- تأييد التوسع فى حقوق الاقتراع.

- دعم حقوق الإنجاب (المقصود حق الإجهاض).
- دعم تنظيمات قوية خاصة بالبيئة.
- دعم وسائل الانتقال العامة.
- دعم المطالبات بالحد الأدنى للأجر.
- دعم تمويل الحكومة للبحث فى مجال بدائل الطاقة.
- معارضة عقوبة الإعدام.
- تأييد حقوق الحيوانات - كقضية سلوك إنسانى أخلاقى.
- تأييد الرقابة على استخدام الأسلحة.
- تأييد نظام للضريبة التصاعدية.

الاستخدام السلبى لمصطلح «ليبرالى»

يرجع الاستخدام السلبى لكلمة «ليبرالى» فى السياسات الأمريكية إلى ما قبل وقت إعلان الرئيس **جون كنيدى** - الذى يعد من الليبراليين - فى خطبته التى أعلن فيها قبوله لترشيح حزب نيويورك الليبرالى

لانتخابات الرئاسة فى ١٤ سبتمبر ١٩٦٠م، حيث فند كنيدى ادعاءات «خصومه» بأن «ليبرالى» يعنى «الشخص المتساهل فى السياسة الخارجية، والمعارض للحكومة المحلية، وغير المهتم بدولارات دافعى الضرائب».

لاحظ **چون لوكاكس** فى كتابه [***انتصار وانهيار الليبرالية***] تغيرا فى الاستخدام السياسى لمصطلح «ليبرالى» منذ الخمسينيات وما تلاها. فى عام ١٩٥١م، استخدم السناتور **چوزيف مكارثى** لمصطلح «الليبرالى» عندما أدان «تلك المؤامرة المخزية التى كانت عندما تنكشف أمام الأنظار آخر الأمر، فإن مبادئها سوف تستأهل دائما أن تشوه سمعة كل الليبراليين»، وأعلن قائد المحافظين السناتور **روبرت إيه. تافت** أنه ليس محافظا، بل «ليبرالى من الطراز القديم».

وأكد **لوكاكس** كذلك أن كلمة «ليبرالى» أصبحت كلمة قبيحة فى نظر ملايين الأمريكيين.

إن استخدام مصطلحات تحط من قيمة ذلك المصطلح مثل «الليبرالى ذو القلب الذى ينزف» [تهكم على أن الليبراليين يتظاهرون برقة قلوبهم على المستبعدين والمهمشين] و«الليبرالى الرعديد» [فيما يخص السياسة الخارجية] و«الليبرالى الذى يفرض الضريبة لمزيد من الإنفاق» و«ليبرالى راكب الليموزين» [المقصود المرفه على حساب دافعى الضرائب]، أصبحت تعبيرات شائعة فى التكتيكات السياسية فى السياسة الأمريكية المعاصرة. على سبيل المثال، فإن المستشار السياسى الجمهورى **آرثر. چيه فنكلشتين** معروف بتكراره لترديد كلمة «ليبرالى» فى الإعلانات

التليفزيونية بشكل سلبى بقدر الإمكان: ذاك ليبرالى . . «ذلك **چاك ريد** إنه ليبرالى . أى أنه على خطأ . اطلب الليبرالى **چاك ريد** وأخبره أن سجله فى الرفاهية أمر ليبرالى زيادة عن اللزوم بالنسبة لك» .

يشعر الكثيرون من الساسة الليبراليين بالخجل من وصفهم بأنهم «ليبراليون» مفضلين مصطلحات من قبيل «تقدمى» أو «معتدل» .

استخدمت **آن كولتر** ذات الميول المحافظة وصاحبة العمود الصحفى الشهير كلمة «ليبرالى» كسباب فى كتابها: ***كيف تتحدث إلى ليبرالى؟*** ـ ***إذا كنت مضطرا لذلك!*** . حيث شبهت الليبرالية بالخيانة . يبيع مكتب مطبوعات المحافظين دمية لـ **آن كولتر** تقول: «الليبرالى يكره أمريكا» .

يستخدم مقدمو البرامج المحافظون من أمثال **راش ليبوا** و**شين هانيتى** شعارات معادية لليبرالية؛ أصدر الأخير كتابا بعنوان [***أنقذونا من الشر: اهزموا الإرهاب، والطغيان، والليبرالية***] .

وجه المحافظون الاتهامات مراراً للنخبة الليبرالية، فكانت تنطوى على أن الليبراليين الأثرياء المثقفين ليسوا فى وضع يتيح لهم تقرير ما هو الأفضل لأمريكا المتوسطة [الطبقة المتوسطة فى أمريكا] . ففى انتخابات الرئاسة لعام ١٩٨٨م، اتهم نائب الرئيس آنذاك **چورچ بوش**، المرشح الديمقراطى **ميتشيل دوكاكيس** بأنه «ليبرالى بوتيك هارفارد»، وفى أثناء انتخابات الرئاسة لعام ٢٠٠٤م، اتهمت الإعلانات التليفزيونية المرشح الديمقراطى **چون كيرى** بأنه «ليبرالى ثرى آخر من صفوة ولاية **ماساشوسيتس** الذى يزعم أنه رجل الشعب» .

المفكرون الليبراليون الأمريكيون

بعض المفكرين الليبراليين الأمريكيين المشاهير :

- چون ديوى (١٨٥٩ - ١٩٥٢م).
- هربرت كرولى (١٨٦٩ - ١٩٣٠م).
- فرانكلين ديلانو روزڤلت (١٨٨٢ - ١٩٤٥م).
- چون كنيث جالبريث (١٩٠٨ -).
- چون راولز (١٩٢١ - ٢٠٠٢م).
- آرثر شيلزنجر الابن (١٩١٧ -).
- رونالد دوركين (١٩٣١ -).
- ريتشارد رورتى (١٩٣١ -).
- روبرت رايش (١٩٤٦ -).